تطور الفكر الأصولي الحنفي

دراسة تطبيقية للأدلة المختلف فيها

The Development of Hanafic fundamental Jurisprudenism,A Longitudinal study on controversial Evidences

اعداد الطالب

هيثم عبد الحميد علي خزنة

٩٥٢٠١٤٠٠٧

اشراف الدكتور

زين العابدين العبد محمد النور

أعضاء لجنة المناقشة		التوقيع
د. زين العابدين العبد محمد النور	(مشرفاً ورئيساً)	.....
أ.د. فاضل عبد الواحد عبد الرحمن	(عضواً)	.....
د. فضل نزاه الأمين فضل الله	(عضواً)	.....
د. العبد خليل أبو عيد	(عضواً)	.....

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير
في الفقه وأصوله في كلية الدراسات الفقهية والقانونية
في جامعة آل البيت.

نوقشت وأوصي بإجازتها بتاريخ : ١٢ / ١٢ / ١٩٩٨م

الإهداء

لأن الإسلام سيف وقلم لا يصح عزل أحدهما عن الآخر فالسيف بلا قلم استعلاء بغير حق وطغيان في باطل والقلم بغير سيف ضعف وهوان واستكانة وامتهان أقول ...

إلى الذين قال الله عزوجل فيهم :

﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ﴾

إلى المجاهدين في سبيل الله ينتظرون إحدى الحسنيين

إلى صفوة الله عزوجل منهم

﴿ ويتخذ منكم شهداء ﴾

إلى سيد الشهداء حمزة

إلى سيد الشهداء سيد

أهدي هذا البحث

الشكر

بين يدي الرسالة والمقام مقام شكر ...

لا يسعني إلا أن أتقدم بجزيل الشكر وموفوره إلى من كلأني برعايته وأفاض علي من غزير علمه وفضله ... ولا أبالغ ، من تحققت فيه صفات سيد وفد عبد القيس الذي قال فيه النبي ﷺ « إن فيك خصلتين يحبهما الله الحلم و الأناة» .

فبالحلم .... وسع ساعات النقاش الطويلة ومرارة الخلاف العالية .

وبالأناة .... كان الغرس يترعرع وها نحن نقطف الثمر .

الشكر لك أستاذي ومعلمي الدكتور زين العابدين

وإلى أساتذتي الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة موفور الشكر على التكرم بالموافقة على مناقشة هذه الرسالة.

قائمة المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	١
التمهيد: تطور الفكر الإسلامي	٥
تعريف الفكر الإسلامي	٥
استمداده	٧
أفراده	٧
الباب الأول: الفكر الأصولي الحنفي	٩
الفصل الأول: الفكر الأصولي في تطوره	١٠
المبحث الأول: تعريف الفكر الأصولي	١٢
المبحث الثاني: نشأة علم الأصول	١٤
المبحث الثالث: تدوين علم الأصول	١٨
أول من دون علم الأصول	١٩
دعوى الشيعة الإمامية	٢١
دعوى بعض الحنفية	٢٢
المبحث الرابع: الفكر الأصولي بعد القرن الثاني	٢٥
الفصل الثاني: أصوليو الحنفية	٢٨
الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان بن ثابت	٢٨
الإمام أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري	٢٩
الإمام أبو عبد الله محمد بن الحسن الشيباني	٢٩
عيسى بن أبان بن صدقة	٣٠
محمد بن سماعة	٣١
أبو صالح السجستاني	٣١
أبو خازم القاضي	٣٢
علي القمي	٣٣
أبو سعيد البردعي	٣٣
محمد بن عيسى	٣٣

الموضوع	رقم الصفحة
أبو منصور الماتريدي	٣٣
أبو الحسن الكرخي	٣٤
أبو علي الشاشي	٣٤
الجصاص	٣٦
أبو زيد الدبوسي	٣٩
الصيمري	٤٢
فخر الإسلام البزدوي	٤٣
السرخسي	٤٦
حسام الدين الصدر الشهيد	٤٨
علاء الدين السمرقندي	٤٩
اللامشي	٥٠
أبو المفاخر الكردري	٥١
عبد العزيز النسفي	٥١
أحمد الغزنوي	٥١
نجم الدين الحفصي	٥٢
الموفق الخاصي	٥٢
حسام الدين الأخسيكثي	٥٢
مختار الغرميني	٥٤
أبو المظفر البخاري	٥٤
عمر الخبازي	٥٤
ابن الساعاتي	٥٦
ركن الدين السمرقندي	٥٨
أبو البركات النسفي	٥٨
إسماعيل بن خليل	٦٥
صدر الشريعة	٦٥
علاء الدين ابن التركماني	٧٠
ابن الحرانية المارديني	٧١

٥٢١٠٤٤

الموضوع	رقم الصفحة
الفناري	٧١
ابن الهمام	٧١
الشاهر وردي مصنفك	٧٢
ملاخسرو	٧٣
الكرماستي	٧٤
أمير بادشاه	٧٤
الأقصرائي	٧٤
الخطيب التمرتاشي	٧٥
كافي البسنوي	٧٥
الخادمي	٧٥
محب الله البهاري	٧٦
مستقيم زاده	٧٦
ابن يمليخا	٧٧
الفصل الثالث: مراحل تطور الفكر الأصولي الحنفي	٧٨
المبحث الأول: الطور الأول مرحلة النشأة	٧٩
المطلب الأول: دور عبد الله بن مسعود رضي الله عنه	٨٠
مكانة ابن مسعود	٨٠
أثر ابن مسعود في فقه أهل العراق	٨١
أثر ابن مسعود في الفقه الحنفي	٨٣
المطلب الثاني: دور إبراهيم النخعي	٨٥
أثر إبراهيم النخعي في الفقه الحنفي	٨٥
دعوى الدهلوي	٨٥
المطلب الثالث: دور الإمام أبي حنيفة وصاحبيه	٩٣
ما ورد عن الإمام أبي حنيفة من مرويات في الأصول	٩٤
ما ورد عن الصاحبين من مرويات في الأصول	٩٥
استقلالية الصاحبين	٩٨
المطلب الرابع: دور تلاميذ الصاحبين	١٠١

الموضوع	رقم الصفحة
دور عيسى بن أبان	١٠١
هل ما أورده ابن أبان في كتبه ينقله عن محمد بن الحسن؟	١٠٣
التطور الاصطلاحي عند عيسى بن أبان	١٠٩
خبر الواحد فيما تعم به البلوى عند عيسى بن أبان	١١٠
المطلب الخامس: دور شيوخ المذهب في القرن الثالث الهجري ..	١١٤
خصائص الفكر الأصولي الحنفي في مرحلة النشأة	١١٦
المبحث الثاني: الطور الثاني مرحلة التدوين	١١٨
المطلب الأول: دور الإمام الكرخي وتلميذه الجصاص	١١٩
الإمام الكرخي	١١٩
مكانته في علم الأصول	١١٩
اجتهاداته الأصولية وموقف المتأخرين منها	١٢٠
مصادر آرائه الأصولية	١٢٢
الإمام أبو بكر الرازي الجصاص	١٢٤
موقفه من آراء شيخه الكرخي	١٢٥
المطلب الثاني: دور المدرستين الأصوليتين في المذهب	١٢٨
مستند وجود المدرستين	١٢٨
خصائص المدرستين والفروق بينهما	١٣١
التقارب بين طريقتي السمرقنديين والمتكلمين	١٣٤
المطلب الثالث: دور الإمام الدبوسي	١٣٦
المطلب الرابع: دور الإمامين البزدوي والسرخسي	١٤٠
نسبة المسائل الأصولية إلى الإمام أبي حنيفة وصاحبيه	١٤٤
دعوى الدهلوي	١٤٤
الرد على دعوى الدهلوي	١٤٤
خصائص الفكر الأصولي الحنفي في مرحلة التدوين	١٥٠
المبحث الثالث: مرحلة الاستقرار	١٥٥
المطلب الأول: ظهور طريقة الجمع	١٥٦
المطلب الثاني: ظهور المتون الأصولية	١٦١

الموضوع	رقم الصفحة
المطلب الثالث: ركود الفكر الأصولي الحنفي	١٦٢
الباب الثاني: الدراسة التطبيقية لتطور الفكر الأصولي الحنفي ..	١٦٤
الفصل الأول: الاستحسان	١٦٧
ما ورد عن الإمام أبي حنيفة وصاحبيه في القول بالاستحسان ...	١٦٧
نظرة شيوخ العراق إلى الاستحسان	١٦٩
نظرة مشايخ سمرقند	١٧١
نظرة الإمام الدبوسي	١٧٢
نظرة البزدوي والسرخسي	١٧٤
ما استقر عليه المذهب في الاستحسان	١٧٥
الفصل الثاني: العرف	١٧٨
ما ورد عن الإمام أبي حنيفة وصاحبيه في القول بالعرف	١٧٨
العرف عند مشايخ العراق	١٧٩
العرف عند الدبوسي	١٧٩
العرف عند البزدوي والسرخسي	١٨٠
العرف عند مشايخ سمرقند	١٨٠
العرف عند المتأخرين	١٨١
الفصل الثالث: شرع من قبلنا	١٨٢
ما ورد عن الإمام أبي حنيفة وصاحبيه	١٨٣
شرع من قبلنا عند مشايخ العراق	١٨٣
شرع من قبلنا عند مشايخ سمرقند	١٨٤
شرع من قبلنا عند الدبوسي والبزدوي والسرخسي	١٨٥
شرع من قبلنا عند المتأخرين	١٨٥
الفصل الرابع: قول الصحابي	١٨٧
ما ورد عن الإمام أبي حنيفة وصاحبيه	١٨٧
قول الصحابي عند مشايخ العراق	١٨٨
قول الصحابي عند مشايخ سمرقند	١٨٩
قول الصحابي عند الدبوسي	١٩٠

الموضوع	رقم الصفحة
قول الصحابي عند البزدوي والسرخسي وما استقر عليه المذهب	١٩٠
الفصل الخامس: الاستصحاب	١٩٢
ما ورد عن الإمام أبي حنيفة وصاحبيه في القول بالاستصحاب ..	١٩٢
الاستصحاب عند مشايخ العراق	١٩٢
الاستصحاب عند الدبوسي	١٩٣
الاستصحاب عند مشايخ سمرقند	١٩٤
الاستصحاب عند البزدوي والسرخسي	١٩٦
الاستصحاب عند المتأخرين	١٩٦
الفصل السادس: عمل أهل المدينة	١٩٨
الفصل السابع: المصالح المرسلة وسد الذرائع	٢٠٠
المصالح المرسلة	٢٠٠
سد الذرائع	٢٠٢
الخاتمه	٢٠٤
قائمة المصادر والمراجع	٢٠٥
الملاحق	٢١٥

الملخص

إن العلوم في الأمم لا تظهر فجأة وإنما تمر بفترة مخاض ومعاناة فكرية حتى تتبلور معانيها فتتضح في الأذهان معالمها ثم قد تتهيأ الأسباب لتدوين هذه المعاني، ثم بعد ذلك تنمو وتزدهر في طريق التطور والتدرج، فالأفكار كالإنسان تولد وتكبر وقد تموت.

والعلوم الإسلامية مرت بما تمر به باقي العلوم والأفكار في الأمم، ومن علومها علم أصول الفقه حيث كان في مراحله المبكرة فكراً في النفوس وملكة راسخة في الأعماق فلا يتميز بحدود ولا يستقل بمدلولات ولا يختص بأسماء وعناوين وإنما خضع تحديده وتقسيمه للتدرج والتطور الذي هو سنة لتطور العلوم ونموها حتى ظهر كعلم مستقل، وبهذا خرج علم الأصول ممثلاً بعلمائه ومؤلفاته وخصائصه.

والفكر الأصولي الحنفي هو أحد ركني علم الأصول ومحور أساس في الفكر الأصولي عامة، وقد مر الفكر الأصولي الحنفي بمراحل متدرجة ابتداءً بالتأصيل الفكري للمذهب إلى أن وصلت أصوله إلى مرحلة الاكتمال والنضوج الفكري والاستقرار في القواعد الأصولية، ونجد هذه المراحل تتمايز إلى ثلاثة أطوار متباينة، وكان لكل طور منها أدوار لأهله فيه تناولوا مسائله سواء كان ذلك تأسيس قاعدة أو تخريج لها أو الاستدلال والمناقشة والترجيح أو ترتيب المسائل الأصولية وتنظيمها أو اختصار لكلام السابقين ووضع الشروح والحواشي والتقريرات عليها.

أما الأطوار الفكرية الثلاثة فهي كما يلي :

أولاً : الطور الأول مرحلة النشأة :

وفي هذا الطور بدأ التأصيل الفكري للمذهب في عهد الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود حيث اتخذ لنفسه منهجاً كان له الأثر الأكبر على فقه أهل العراق عامة والفقه الحنفي خاصة، ثم تلقى منهجه إبراهيم النخعي فجعل لفقه الرأي كوناً ووجوداً ومعنى مقبولاً، ثم حرر الإمام أبو حنيفة هذا المنهج فأسس مذهباً ووضع له القواعد والأصول وشاركه في التأسيس والتأصيل تلامذته وبخاصة أبو يوسف القاضي ومحمد بن الحسن الشيباني.

لكن لم يرد عن الإمام وصاحبيه تفصيل في هذه القواعد والأصول فجاء من بعدهم فرووا لنا بعضها واستخرجوا البعض الآخر من الفروع الفقهية المروية عنهم وأضافوا إليها آراءهم واجتهاداتهم.

ثانياً : الطور الثاني مرحلة التدوين :

وفي هذا الطور اتجه الفكر الأصولي الحنفي إلى التدوين الشمولي لعلم الأصول وكانت هذه المرحلة أهم مراحله فهي العصر الذهبي للفكر الأصولي الحنفي والنتاج الفكري فيها يمثل قمة الاجتهاد الأصولي وأكثر ما جاء بعده ما هو إلا دائر في فلكه ولا يخرج عن محتواه وما استقرت عليه المسائل، وعلماء الأصول للمذهب في هذه المرحلة كان لهم الأثر الأكبر في تحديد مسار الفكر الأصولي الحنفي وكان لكل منهم دور بارز فيه.

وأبرز ما كان في هذه المرحلة ظهور مدرستين أصوليتين في المذهب وهما مدرسة العراق ومدرسة سمرقند، وكان لكل منهما منهج خاص في تناول مسائل الأصول وخصائص تتميز بها عن نظيرتها، ثم جاء الإمام الدبوسي فجمع بين المدرستين واستفاد من كل منهما وقرر مسائل وقواعد كثيرة كان فيها مبدعاً ومتقناً ومتفنناً.

ثم جاء الإمامان البزدوي والسرخسي فقررا المباحث والمسائل الأصولية في المذهب كافة وحققا مسائلها للمذهب كاملة فكان قولهما المعتمد متى اتفقا ولم يخرج المتأخرون عن قول أحدهما إذا اختلفا، وبنيت المتون الأصولية على ما صنفا، فاكتمل في عهدهما بناء الفكر الأصولي الحنفي.

ثالثاً : الطور الثالث مرحلة الاستقرار :

بعد أن دون البزدوي والسرخسي أصولهما تقبلها الحنفية وتناولوها في دروسهم ومصنفاتهم واعتمدوا تقريراتهما للمسائل الأصولية، وحينئذ انتشرت المتون الأصولية واعتمدت الآراء الراجحة ووضحت المعالم فاستقر الفكر الأصولي الحنفي ولم يطرأ تغيير يذكر على أصول المذهب.

إلا أن بعض الحنفية قد أحدثوا في هذه المرحلة مسلكاً مغايراً لما كان عليه

السابقون ووضعوا للفكر الأصولي الحنفي مساراً جديداً بوضعهم طريقة جديدة في التأليف في علم الأصول وهي طريقة الجمع بين طريقتي الفقهاء والمتكلمين، لكن هذا المسلك لم يمس حقيقة استقرار المسائل الأصولية واعتمادها في المذهب.

وفي هذه المرحلة ركد الفكر الأصولي الحنفي ويظهر هذا بشكل أكبر كلما تقدمنا في هذه المرحلة حتى اقتصرت الجهود العلمية في الأصول على الشرح والتحشية والتعليق دون ظهور محاولات للاجتهاد والإبداع في هذا العلم مما أدى إلى انحراف القصد منه إذ أصبح مجرد علم بالطرق التي سلكها الفقهاء في استنباط الأحكام الشرعية من غير محاولة للتطبيق وما ينتج عنه من مشكلات والبحث في حلها والاجتهاد فيها، وكان هذا نتيجة حتمية لاستمرار إغلاق باب الاجتهاد.

هذه هي الأطوار الفكرية لعلم الأصول في المذهب الحنفي، وقد كان لكل طور منها عوامل أثرت على الفكر الأصولي الحنفي فجعلت له خصائص تميزه عن غيره من الأطوار.

كل هذا يمثل نظرية تطور الفكر الأصولي الحنفي، وكان موضوع التطور المسائل والقواعد الأصولية للمذهب لذلك أدرجت في هذا البحث دراسة تطبيقية لتطور الفكر الأصولي الحنفي، وقد اخترت المسائل المتعلقة بالمصادر التشريعية التبعية وبحثت فيها عبر المصنفات الأصولية للمذهب في مراحلها التاريخية المختلفة لتظهر حقيقة الأدوار والمراحل التي مرت بها هذه المسائل وكيفية تناولها في هذه المصنفات.

ونجد تفصيل هذه النظرية وتطبيقها في المسائل الأصولية في هذه الرسالة، وأسأل الله أن أكون قد وفقت في عرض الموضوع وحققت الغاية المرجوة منه.

المقدمة

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدي ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون ،ونزّل عليه الفرقان ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الرسول الأمين والمبعوث رحمة للعالمين ، يتلو عليهم آيات الله ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله المطهرين وأصحابه السابقين الأولين والذين اتبعوهم بإحسان من الأئمة المجتهدين والعلماء العاملين ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين... أما بعد

فخلق الله عزوجل الخلق وقدّر لهم معيشتهم ومماتهم في الأرض، وما كان ذلك عنده لعبث بل خلقهم لعبادته وطاعة أمره واجتناب نهيه ، فبعث لكل أمة هادياً ومرشداً رسولاً يصطفيه ويختاره ،يبعثه بشرع يلائم عقول أمته وينتهي بانتهاء أمد هذه الأمة ، حتى إذا بلغ النوع الإنساني أشده بعث الله عز وجل محمداً ﷺ إلى الناس كافة ختم به الرسالات وأوحى إليه شريعة لانسخ فيها- بعد استقرارها-ولاتبديل يعتريها تبقى على مر الأيام والدهور، وأمره بالبلاغ والبيان ثم جعلها تركة يرثها العلماء من أمته ﷺ .

وأذن الله لهم بالاجتهاد وعلمهم رسول اللهﷺطريقته بعد أن تقدمهم فى هذا السبيل كيلا يكون عليهم حرج فيه ،فا جتهد الصحابة رضوان الله عليهم وتركوا لنا ثروة فقهية تتمثل بفتاويهم وآرائهم ،ثم سار على خطاهم التابعون وتابعو التابعين والأئمة المجتهدون حين اتسع إقليم الدولة الإسلامية ودخل في الإسلام أقوام كثير وواجهت المسلمين قضايا وأحداث لم تكن في أسلافهم فحملت المجتهدين منهم على شحذ الهمة للاجتهاد والاستنباط واتسع بذلك ميدان الأحكام الفقهية .

فكانت العصور الأولى لتاريخ الفقه صفحات مشرقة بذلت فيها جهود طيبة مباركة لإعلاء شأن الفقه لكن هذا العصر الذهبي للفقه والاجتهاد لم يدم فأ صيب فى مراحله التالية بركود وجمود ، ويكاد يجمع المصنفون فى تاريخ الفقه أن ذلك قد بدأ فى القرن الرابع الهجري حيث أخذ الفقهاء بتقليد السابقين ورضوا به طريقاً لهم، وكلما امتد الزمان وطالت الأيام ازدادت ظلمة الجمود والركود والإغراق فى

التقليد، ولايعني ذلك الطعن في المذهبية- كما يريد البعض- بل إنها قد حافظت على العلم في مكانته السامية ولم تسمح لأي ممن اعتلا منبراً أن يدعي العلم حتى يتدرج في مراتبه فكانت- وما تزال- أفضل طرق التعلم. أما اللامذهبية التي فشت في عصرنا فهي وإن بدت براقة في مظهرها إلا أنها خطيرة في باطن أمرها فقد أخرجت أناساً يدّعون العلم وهم لم ينالوا منه إلاطرفاً يسيراً . وإن ما يعيب المذهبية الإغراق في التقليد واللجوء الى المتون والعكوف و الاقتصار عليها مما أدى إلى تقييد حرية الفكر وانغلاقه على أعمال السابقين فقل الإبداع والاجتهاد ولم تكن المذهبية السبب الوحيد في هذا الأمر بل شاركها الضعف السياسي للدولة الاسلامية، فالضعف والتمزق والانهيار الذي تفشاها في عصورها المختلفة إلى أن تم إلغاء الخلافة قد أثر الى درجة كبيرة على الحياة العلمية بشكل عام وعلى الفقه بشكل خاص.

وفي عصرنا الحاضر منذ أن سقطت الخلافة الإسلامية وما سبقها من تسلل القوانين الوضعية في البلاد الإسلامية مر الفقه الإسلامي بمنحى خطير لم يسبق له مثيل وذلك بإقصاء الشريعة الإسلامية عن الحكم في الديار الإسلامية واستبدالها بغيرها، إلا أن ذلك قد فتح أعين كثير من الفقهاء على العثرات التي وقعت في الفقه حتى أُقصي وقامت جهود مباركة- إن شاء الله- لإخراجه من ركوده وجموده، وكانت البداية بإخراج التراث العلمي وطباعته وترتيبه وتهذيبه وتبويبه مما أدى إلى سهولة تداوله بين العلماء وطلبة العلم، فأصبحت العلوم اليوم ميسرة مذللة وهي أسهل منها في العصور الماضية ،وهي ثمرة جهود هائلة من العلماء أفنوا أعمارهم في تدوينها وتحصيلها، وكان الرجل منهم يقضي السنوات الطوال في الرحلة والتنقل لتحصيلها، وبعد أن اجتمع لدينا -- وبحمد الله – هذا التراث العلمي لابد من عمل الدراسات والأبحاث للاستفادة منه وإحيائه وبعثه من جديد في سبيل عودة الحاكمية لشرع الله عز وجل في الأرض.

والتراث الفقهي وما يقوم عليه من بحوث أصولية هو أساس العلوم الشرعية كلها ومحورها وأهمها لارتباط الفقه بالحياة العامة في المجتمع المسلم وبناء العلاقات على أساسه وقيام مصالح المسلمين عليه، والعلوم الشرعية الأخرى ما هي إلاّ وسائل لإعانة المجتهد للوصول إلى الحق أو مكملة لبعض الجوانب الأخرى في المجتمع المسلم

وعلم أصول الفقه هو أساس الفقه وعماده ولايتصور وجوده بدونه فكان توجهي بالدراسة لعلم الأصول لشرفه ومكانته العلمية وليقيني بوجوب وضعه في مكانته وأن يعطى فيها حقه من البحث والدراسة لمعرفة مداركه وطرائقه حتى تتخلص الأمة من العقم الذى أصابها فى عصور التدهور والاضمحلال العلمي والجمود الفقهي فتصبح قادرة على أن تنجب مفكرين أصلاء ومجتهدين مبتكرين ،فكان توجهي إلى التراث الأصولي والفكر الأصولي الذي سار عليه الأئمة المجتهدون فى عصور الازدهارللفقه الإسلامي فأنتجت لنا أعظم ثروة فقهية في التراث الإسلامي عامة ، وأردت من ذلك الإفادة منها بمعرفة الأصول الفكرية لهؤلاء الأئمة المجتهدين وتتبعها واستخلاص المناهج الأصولية التى ساروا عليها ، ثم الاهتداء بها لإيجاد مناهج أصولية تلتقى معها وتتماشى مع العصر الحاضر وتتصدى لاستنباط الأحكام الفقهية لوقائعنا المعاصرة .

وأردت من هذا البحث أن يكون دراسة تاريخية تحليلية فينظر إلى علم الأصول فى مراحله المبكرة حيث كان فكراً فى النفوس وملكة راسخة في الأعماق فلا يتميز بحدود ولايستقل بمدلولات ولايختص بأسماء وعناوين وإنما خضع تحديده وتقسيمه للتدرج والتطور الذى هو سنة لتطور العلوم ونموها حتى ظهر وتميز كعلم مستقل وبهذا خرج علم الأصول ممثلا بعلمائه ومؤلفاته وخصائصه ، وكان من الطبيعي أن يتميز هذا العلم بمذاهب أصولية لها ملامحها وخصائصها فكان مجال تسابق وإبداع فأثرى العلم ثراء كبيراً وبلغ التأسيس والتقعيد لمسائله حد التفوق .

وهذه المذاهب الأصولية تتمثل فى منهجين فى التأليف :
منهج المتكلمين على اختلاف مذاهبهم الفقهية ومنهج الحنفية ، ولكل منهما خصائصه ومميزاته المنهجية

والمنهج الحنفي هو أحد ركني علم الأصول فاتجهت فى هذا البحث لدراسته دراسة تاريخية تحليلية من خلال بداياته والمراحل التى مر بها إلى أن وصل إلى مرحلة الاكتمال والنضوج الفكري ، وظهر لي أن في بعض جوانبه غموضاً عملت جاهداللكشف عنه فكان لي ـ ولله الحمد ـ السبق في بعضها ، ووجدت أيضاً إشكالات بذلت فيها الوسع لحلها بحسب قدرتي وطاقتي كما وجدت طعوناً

وأسهماً توجهت إلى المذهب الحنفي وأصوله وشككت فيه فأفرغت لها الجهد للرد عليها فلم تكن جُل هذه الطعون منصفة فى دعواها.

وقد كان خير عون لي في هذا البحث ماكتبه الإمام المحدث الفقيه الداعية الشيخ محمد زاهد بن الحسن الكوثري طيب الله ثراه وأدخله فسيح جنانه حيث وقفت له على تعليقات هامة لم أجدها عند غيره إلاأنها كانت مبعثرة فى شتى أبحاثه فى الحديث والتراجم والفقه وغيرها.

هذا هو موضوع الباب الأول إجمالاً حيث سيكون دراسة نظرية للفكرالأصولي الحنفي وفي الباب الثاني أردت منه أن لا يبقى البحث ضمن نظريات مجردة فلا بد من إظهار تلك النظريات فى واقع عملي مشاهد تتجلى فيه المسائل الأصولية التى هي موضوع التطور وقد اخترت بعض المسائل الأصولية لتكون دراسة تطبيقية لتطور الفكر الأصولي الحنفي، وهذه المسائل هي المتعلقة بالأدلة المختلف فيها أو المصادر التشريعية التبعية وهي الاستحسان والعرف وشرع من قبلنا وقول الصحابي والاستصحاب وعمل أهل المدينة والاستصلاح وسد الذرائع، وسنجد من خلال البحث أن هذه المسائل أصلّت وقعّدت خلال المراحل المختلفة التى مر بها الفكر الأصولي الحنفي.

والله تعالى أسأل أن يلهمني الرشد والصواب وأن يأخذ بيدي إلى ما فيه النفع والصلاح، وماكان فيها من حسن فبتوفيق من الله عزوجل وماكان فيها من تقصير فلقلة بضاعتي وقصر باعي، والحمدلله رب العالمين.

التمهيد
تطور الفكر الإسلامي

إن العلوم في الأمم لا تظهر فجأة وإنما تمر بفترة مخاض ومعاناة فكرية حتى تتبلور معانيها فتتضح في الأذهان معالمها، ثم قد تتهيأ الأسباب لتدوين هذه المعاني ثم بعد ذلك تنمو وتزدهر في طريق التطور والتدرج، فالأفكار ككل شئ إنساني تولد وتكبر وتنضج وقد تموت.

والعلوم الإسلامية بدأ وجودها بظهور الرسالة الإسلامية فكان نواتها علم الوحي الذي هو من علم الله تعالى وهو قديم لا يتصف بما اتصف به علم البشر من البداء والنقص والتطور، وعلم الوحي هو القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم، ثم تفرعت هذه العلوم ومرت بما تمر به باقي العلوم والأفكار في الأمم.

وعلم الوحي نقطع بصحته ونسلم به، أما ما بني عليه فهو ما يصح أن نسميه بالتراث العلمي الإسلامي أوالفكر الإسلامي، ونحن بحق نفخر كل الفخر به ونعتز به، كيف لا !؟وقد أعلى الله شأن هذه الأمة به وما خذلها إلا النكوص والتنكر لهذا التراث، والواجب علينا أن ندرس هذا التراث ونعطيه حقه ونوفيه مكانته ونستخلص منه صفاءه ونقاءه وندع منه شوائبه وما يعكره.

ومن الجوانب المهمة لهذه الدراسة هي الأحوال والأطوار التي مر بها هذا التراث العلمي الإسلامي أو الفكر الإسلامي، ومن دواعي ذلك الوقوف على عوامل التطور والنمو فيه للاستفادة منه في تجديد بنائنا الإسلامي في مجال المعرفة والعمل.

تعريف الفكر الإسلامي

إن مصطلح الفكر الإسلامي من المصطلحات الحديثة، وقبل الشروع فى بيان حده الاصطلاحي لابد من بيان الحد اللغوي والاصطلاحي لكلمة الفكر
«الفكر بالكسر ويفتح: إعمال النظر في الشيء»(١)

---

(١) الفيروز آبادي(القاموس المحيط)٢/ ١١١، ابن منظور (لسان العرب)٥/ ٦٥.

ويعرفه المناطقة «الفكر :ترتيب أمور معلومة للتأدي إلى مجهول»(١)
ويعرفه الأصوليون «بفعل إرادي صادر عن النفس لاستحصال المجهولات بالمعلومات»(٢)

ويلاحظ من هذه التعاريف أن الفكر من العمليات والوظائف العقلية والذهنية فالمفكر يُعمل عقله وذهنه في المعلومات الموجودة عنده ليتحصل على المجهولات.
وبناءً على ذلك فقد عرف بعض المعاصرين الفكر الإسلامي بـ«المحاولات العقلية من علماء المسلمين لشرح الإسلام من مصادره الأصلية القرآن والسنّة الصحيحة»(٣)
فقد توجه علماء المسلمين إلى المعلومات السابقة المتمثلة في علم الوحي وفي الجهود السابقة ـ إن وجدت ـ لاستعادتها ثم استخراج معلومات جديدة.

وسبب هذا التوجه هو بروز الرغبات وسد الحاجات، رغبة في التقرب إلى الله تعالى بالتعلم والحصول على المكانة الرفيعة عند الله تعالى وعند الناس بالعلم، وكذلك سد حاجات المجتمع المسلم بمعرفة الحلال والحرام وبيان معاني القرآن والسنة وطرائقهما، فظهر علم التفسير ورافقه التحديث عن رسول الله ﷺ ثم ظهر بعده طلب السند، ومن خلال ذلك كانت الفتوى من الصحابة ومن بعدهم وغير ذلك، وكلما بعدت المدة عن عهد رسول الله ﷺ كلما تميزت العلوم الإسلامية باستقلالية كل علم عن الآخر، وظهر من خلال هذا كله المدارس بمذاهبها وخلافاتها والتدوين لتثبيت هذه العلوم ونقلها للخلف، والفتن التي كان ابتداؤها سياسياً ثم تلبستها الخلافات العقدية حتى وسعتها.

وبعد هذا البيان الموجز للتعريف لابد من الإشارة الى ثلاثة أمور:
الأول: إن سبب نسبة الفكر إلى الإسلام فكان فكراً إسلاميا أنه ملتزم بمجموعة من القواعد والأصول التي وضعها الشارع فمن حاد عنها أو خرج وصف بالزندقة أو الكفر كما حدث مع بعض الفلاسفة، فكل ما ينتج عن فكر بشري مستقل ولم

---

(١) الجرجاني(التعريفات)١٧٦ ،وانظر :القويسني(شرح حسن القويسني على متن السلم) ٤ ،ابراهيم الباجوري(حاشية الباجوري على متن السلم) ٧ .
(٢) ابن أمير الحاج(التقرير والتحبير) ١ / ٤٩
(٣) د. محمد البهي(الفكر الإسلامي في تطوره)٦ ، أنور الجندي(القيم الأساسية للفكر الإسلامي) ٤٥ .